

ثقافة الجماعة



«لعلّ من أكبر البركات التي منّ الله تعالى بها على الأُمّة نعمة الجماعة وذلك لأنّ التحدّيات التي تواجه المجتمع والمؤامرات التي يحيكها أعداء الدّين ضدّ الأُمّة لا يمكن مواجهتها والتصدّي لها بشكلٍ فردي مهما بلغت الحصانة التي يتمتع بها أيّ فرد، بل من البديهي تداعي سائر المؤمنين إلى لزوم جماعتهم والتعرّضُف على مشاكلهم والاستماع لبعضهم وطرح الحلول الملائمة لا سيّما أمام ما تتعرّض له أُمّتنا اليوم من غزو ثقافي وإعلامي موجه يستهدف إماتة الروح الإسلامية في النفوس واستبدالها بروح استهلاكية تابعة.

فالجماعة لا تعني الكثرة في مقابل القلّة، ولا تعني القوّة في مقابل الضعف، ولا تعني القدرة في مقابل الوهن، فعن الإمام عليّ (ع) - وقد سُئِلَ عن تفسير السنّة والبدعة والجماعة والفرقة: «السنّة - وإيّاها - سنّة محمّد (ص)، والبدعة ما فارقها، والجماعة - وإيّاها - مجامعة أهل الحقّ وإن قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا».

وعن الإمام الصادق (ع): «سُئِلَ رسول الله (ص) عن جماعة أُمّته، فقال: جماعة أُمّتي أهل الحقّ وإن قلّوا». وعن رسول الله (ص) - وقد سُئِلَ ما جماعة أُمّتك؟ - : «مَن كان على الحقّ وإن كانوا عشرة».

والشاهد الأكبر الذي نراه في التاريخ ما جرى في كربلاء حيث كان الحسين وأصحابه يمثّلون الجماعة وأهل الحقّ على قلّتهم بينما احتشد عشرات الآلاف على الباطل والضلالة.

بركات الجماعة

شدّد رسول الله (ص) على أهميّة الجماعة وأوصى بها محذّراً من أيّ لون من ألوان التفرّق والتشتّت فقال (ص): «أيّها الناس! عليكم بالجماعة، وإيّاكم والفرقة».

يد ا على الجماعة: عنه (ص): «يد ا على الجماعة، والشيطان مع مَن خالف الجماعة يركض».

وبنفس المعنى قوله (ص): «يد ا على الجماعة، فإذا اشتدَّ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم».

البقاء على الهدى: عنه (ص): «مَن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

الجماعة رحمة: عنه (ص): «الجماعة رحمة والفرقة عذاب».

الظهور على الآخرين: فعن عليّ (ع): «فانظروا كيف كانوا حيث كانت الإملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة. ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين».

استجابة الدعاء: عن الإمام الصادق (ع): «إنَّ ا يستحيي من عبده إذا صلى في جماعة، ثمَّ سأل حاجته أن ينصرف حتَّى يقضيها».

ما يناقض الجماعة

الفتن: عنه (ع) - في التحذير من الفتن -: «لا تكونوا أنصاب الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه جبل الجماعة، ويُنبت عليه أركان الطاعة».

التقاطع والجفاء: فعن عليّ (ع): «وعليكم بالتواصل والتبادل، وإيّاكم والتدابير والتقاطع. فإنَّ ا سبحانه قد امتنَّ على جماعة هذه الأُمّة، فيما عقد بينهم من جبل هذه الألفة، التي ينتقلون في طلاّها، ويأوون إلى كنفها. بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنّها أرجح من كلّ ثمن، وأجلّ من كلّ خطر».

عدم الاحترام المتبادل: عن عليّ (ع): «ليردعكم الإسلام ووفاره عن التباغي والتهاذي، ولتجتمع كلمتكم، والزموا دين ا الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدِّين».

التلوّن: عنه (ع): «إيّاكم والتلوّن في دين الله؛ فإنَّ جماعة فيما تكرهون من الحقّ خير من فرقة فيما تحبّون من الباطل، وإنَّ ا سبحانه لم يعطِ أحداً بفرقة خيراً، ممّن مضى ولا ممّن بقي».

عنه (ع): «إنَّ الشيطان يسني لكم طرقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدقوا عن نزغاته ونفثاته».

الخلاف: عن عليّ (ع): «وأيم ا، ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها. إّلا ظهر باطلها على حقّها، إّلا ما شاء ا».

وبيّن الإمام عليّ (ع) مساوئ الخلاف والفرقة قائلاً: «فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أُمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشدّت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعّبوا مختلفين، وتفرّقوا متحازبين. وإنّما أنتم إخوان على دين ا، ما فرق بينكم إّلا خبث السرائر، وسوء الضمائر، فلا توازرون ولا تناصحون، ولا تباذلون ولا توادّون... وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه، إّلا مخافة أن يستقبله بمثله».

عنه (ع): «وإنِّي، وإني، لأظنُّ أنَّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرُّقكم عن حقِّكم».

وقد وقع هذا الأمر يوم عاشوراء حيث اجتمعوا على سيِّد الشهداء (ع)، وقد خطب فيهم قائلاً: «وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، وجنبكم رحمته». ►